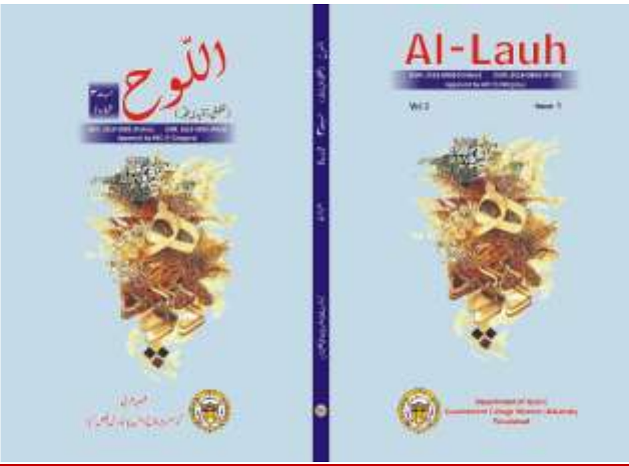

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Al-Lauh
Bi-Annual, Trilingual (Arabic, English, Urdu) ISSN: (P) 2618-088X. (E) 2618-0898
Project of **Govt. College Women University Faisalabad,**
Madina Town, Faisalabad, Pakistan.
Website: www.allauh.com
Approved by Higher Education Commission Pakistan
Indexing: Euro Pub, Journal Factor, DOAJ, DRJI, Urdu Jaraid, Asian Research Index

TOPIC

البيئةالمصريةفي روايةمحمدحسين هيكل

THE EGYPTIAN ENVIRONMENT IN THE NOVEL BY MUHAMMAD HUSSEIN HEIKAL

AUTHOR

1. Dr. Raheela Khalid Qureshi, Professor, Department of Arabic Islamic University of Bahawalpur
2. Dr. Muhammad Zubair Akram, Ph.D Scholar, Department of Arabic Islamic University of Bahawalpur

How to Cite: https://allauh.pk/
https://allauh.pk/index.php/allauh/issue/view/4
Vol. 3, No.1 || January–June 2024 ||
Published online: 30-06-2024

البيئة المصرية في رواية محمد حسين هيكل

The Egyptian environment in the novel by Muhammad Hussein Heikal

الأستاذة الدكتورة راحيلة خالد قريشي[1]   الدكتور محمد زبير اكمل[2]

Abstract:

The novel is a formation of life, and this formation depends on the events of people through characters interacting with the events and the medium in which these events revolve and eventually reach a social or philosophical result in the human environment.The innate needs of man as he transmits this need to the outside world in different ways, the most complete of which was the narration of events through language .

The relationship of the novel with human issues is not a partial relationship, as the human being is not only part of the narrative narrative, but the relationship between them is based on unity and unification.In all of this: in the subject and subtraction, in the discourse and vision, in the portrayal of characters, and in the narration of events; Which makes us assert that the novel is a reflection of the human being in his movements and stillness, and his problems and dreams in the environment.

By man, we mean the individual: his mind and heart, his behavior and activity, his relationships and his thoughts; We also mean the collective man, in his relationship with: society, people, clan and family.No person lives without a social environment, unless he chooses to distance himself, and live alone, torn by loneliness, ravaged by worries, shunned by his group, rejected by his relatives.

The life of Muhammad Hussain Heikal (1888-1956) can shed light on the circumstances of the emergence of the novel in Egypt, in the field of linking national sentiment with the emergence of the Arab novel.He is one of the first to express a clear expression of the Egyptian character.

The main objective of this article is to provide a comprehensive view of the most prominent humanitarian issues in terms of the environment that the Egyptian Arab novel tackled in its course.It relies on looking at the Arab novel in a holistic way; It examines the commonalities between Arab novelistic creations, taking into account spatial diversity and environmental specificity.

Keywords: the novel, the environment, humanitarian issues, the narrative narrative, the particular environment, portraying the Egyptian character

الرواية لغة:

"الراوي أو الراوية: هو ناقل الخبر أو الشعر أو ضوابط اللغة أو الحديث فجمع رواة.

الرواية: هي نقل العلم من عالم يسرد والطالب يسمع ويحفظ و يروي وكون ايضا بمعني القصة الطويلة التي تتعلق بمجموعة اشخاص واحداث ومواقف".[١]

الرواية اصطلاحا:

يقول "علي نجيب ابراهيم": عن الرواية هي"فن نثري تخيلي طويل نسبيا بالقيا الي فن القصة". [٢]

هناك من يعرفها بأنها:"جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية" في مراد احداث معنية تمثل الواقع وتعكس مواقف انسانية، وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية، وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات، والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم". [٣]

تقول "عزيزة مريدن" عن تحديد الرواية:"هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا انها تشغل حيزا اكبر، وزمن أطول، وتعدد مضامينها،كما هي في القصة، فيكون منها الرويات العاطفية، والفلسفية، والنفسية والاجتماعية،و التاريخية". [٤]

فيظهر بأن صاحب الرواية يهتم في الرواية عدة نواحي من حيث التحليل والوصف والطبائع وأيدها الأكاديمية الفرنسية بأنها: "قصة مصنوعة مكتوبة بالنثر، يثير صاحبها اهتماما بتحليل العواطف و وصف الطباع وغرابة الواقع". [٥]

الرواية الاجتماعية:

"هي أوسع أنواع القصص الحديثة انتشارًا و أكثر ما يعالجه كتاب العصر، والثلاثينات الأخيرة، شاهدت تحولاً ظاهراً فى القصة الاجتماعية، فمنذ القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى كانت النزعة الرومانسية هي السائدة فيها فكان القصاصون أميل إلى تناول الموضوعات العاطفيية أو الخيالية المثيرة، فبدأ و يترجمون و يكتبون قصص المغامرات والفواجع والغرامية وما يتصل بالفضائل أو المصائب الانسانية".

يتحدث هنا "شوقى ضيف" بقدر من التفصيل اليسير عن القصة الاجتماعية يعنى الرواية الاجتماعية فى كتابه الشهير:(الادب العربى المعاصر فى مصر) فيقول:

"اما القصة الاجتماعية الطويلة التى بدأها محمد حسين هيكل فإنها حظت خطوات واسعة مع نهضتنا الأدبية بعد الحرب الأولى من القرن، إذ وجد لها غير كاتب أصيل، وأصبح كل كاتب فيها أسلوبه ومميزاته

---

[١] : الكتاني، أستاذ عبد الحق ، المغني معجم اللغة العربية ، الشركة المغربية لتوزيع الكتاب ، ج١، ص: ١٩٤

[٢] : ابراهيم ، علي نجيب ، جماليات الرواية ، دار الحوار النشر ، سوريا، ط١، ١٩٨٧، ص:٣٦

[٣] : حجازي، سمير سعيد، النقد العربي وأوهام روّاد الحداثة ،مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ،القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص:٢٩٢

[٤] : عزيزة مريدن ، القصة واالرواية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٧١، ص:٢٠

[٥] : الجويني ، مصتفي الصاوي، في الادب العالمي القصة الرواية والسيرة، منشاة المعارف ، الاسكندرية، ٢٠٠٢، ص:١٣

الشخصية التى ينفرد بها عن أقرانه ومن أهم من لمعت اسماؤهم فيها طه حسين و المازنى وامتاز الأوّل بتصوير حياتنا المصرية فى كثير من قصصه مثل:(الأيام و دعاءالكروان و شجرة البؤس)، و تناول قصة شهر يار المعروفة فى (الف ليلة و ليلة) وعرض بأسلوبه البارع عرضًا طريفًا". [1]

"الرواية الاجتماعية قد ظهرت عام ١٩٠٤ على يد الدكتور محمد حسين هيكل في قصة "زينب" التي صور فيها الريف المصري بعاداته وتقاليده، ولكن يؤخذ على هذه القصة الاستطراد في السرد، والميل إلى المبالغة، ومع هذا يعد الدكتور محمد حسين هيكل أول من ألف رواية اجتماعية عربية خالصة، فتح بها الباب أمام معاصريه". [2]

ظهرت الروايات المتنوعة، التي تعنى بالمشكلات الوطنية والقومية مثل:(عودة الروح) لتوفيق الحكيم، و(الثلاثية) لنجيب محفوظ، و(الأرض) لعبد الرحمن الشرقاوي [3].

"القصص التي تعنى بالتحليل النفسي مثل (سارة) للعقاد،أو نقد العيوب الاجتماعية مثل قصص محمود تيمور، وإبراهيم المصري، ويحيى حقي، وإبراهيم الورداني، وإحسان عبد القدوس، والتي تصور الطبقات الشعبية الكادحة مثل قصص (نجيب محفوظ)، و(يوسف إدريس)".

الرواية الفنية:

عند أواخر تلك الفترة وصلت الرواية إلى نهاية الطرف الثاني، "الذي يستدبر التراث ويحاكي قصص الغرب"، ويمكن اعتبار ذلك رد فعل لما سبقه من محافظة اختلفت درجاتها، وبالغ بعض المتشبثين بها حتى كتبوا روايات في لغة "المقامات".

قبل أن اخوض في أصل الموضوع أولا أضع تعريفا موجزا عن ترجمة الراوي والكاتب لرواية محمد حسين هيكل و حياته الأدبية والفكرية وآثاره.

محمد حسين هيكل (١٩٥٦-١٨٨٨)

كان"محمد حسين هيكل" أديبا بارعا، صحافيا ثائرا، سياسيا قديرا، مؤرخا بالغ النظر، روائيا محنكا، صاحب أول رواية عربية في تاريخ الأدب العربي الحديث.

مولده ونشأته:

---

[1] : ضيف، شوقي، الأدب المعاصر في مصر،دار المعارف السلسة، مكتبة الدراسات الأدبية، ٢٠٠٤م، ص:٢١٠

[2] : عبد المحسن طه بدر(الدكتور)، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر "١٨٧٠-١٩٣٨"، ط٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢، ص ٣٢٢، ٣٣٧.

[3] : المرجع السابق، ص ٣٧٦، ٤٠٠.

"ولد محمد حسين هيكل في قرية كفر غنام من أعمال مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية والواقعة في مصر في ٢٠من شهر أغسطس عام ١٨٨٨م، وكانت أسرته ريفية مصرية صميمة، وكان والده حسين آفندي سالم هيكل مكرما عند الناس". [1]

"ولما بلغ محمد حسين هيكل الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكتاب القرية، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ حوالي ثلث من القرآن الكريم، ولما بلغ السابعة من عمره التحق بمدرسة الجمالية الإبتدائية ثم انتقل إلى المدرسة الخديوية الثانوية فقرأ هناك ما قرأ وما لبث ان التحق بمدرسة الحقوق حيث درس أربع سنوات وتخرج فيها عام١٩٠٩م، ظهر فيه ميله إلى الأدب منذ أن كان في الحقوق، فعكف على قراءة الآثار العربية القديمة".

"و في هذه الفترة اتصل بلطفي سيد الذي كان محررا لمجلة (الجريدة)، فتح له باب هذه الصحيفة ليكتب القوقي الصغير، وكان لهذه الرعاية أثرها البعيد في تكوين شخصيته الأدبية بعد تخرجه في الحقوق خطر بباله أن يتم تعليمه في فرنسا، سافر إلى باريس والتحق بكلية (السوربون) وحصل منها على شهادة الدكتوراه عام ١٩١٢م".

"عاد إلى مصر واشتغل بالمحاماة في مدينة "المنصورة" حيث أنشأ مكتبا للمحاماة وزاول هذه المهنة من١٩١٢م إلى ١٩٢٢م بكفاءة ومهارة، ومنذ سنة١٩١٧م أخذ يلقي بعض المحاضرات في (الجامعة المصرية الأهلية) لأنه كان يميل طبعيا إلى الأدب رغم اشتغاله بلمحاماة، ولما أنشا حزب الأحرار الدستوريين جريدة (السياسة) عام ١٩٢٢م تولى تحريره". [2]

حياته الفكرية:

"في البداية كانت حياته الفكرية مؤمنًا بالقيم الغربية وكان رجل ذو فكر و حركة، كتب في الفلسفة والتاريخ والأدب، هو أول من قدم إلى الأدب العربي الحديث الرواية الفنية، وكان من السابقين الذين نقلوا الثقافة الغربية إلى العربية".

"ترك مجموعة من الكتب الأدبية والدراسات الإسلامية، استهلها بقصته المشهورة (زينب) وكتب أول ما كتب بصحيفة (الجريدة) التي أنشأها أحمد لطفي السيد ١٩٠٧، ثم تضاعف نشاطه الكتابي بعد ثورة ١٩١٩، ولاسيما بعد أن اختير لرياسة تحرير جريدة (السياسة) و اشترط عدلي يكن أن تكون المقالات هادئة، ولكن هيكل لم يقابل الأحداث بأسلوب هادئ فغضب عدلي منه فاستقال، وعلق قائلًا: فلنسر في طريقنا ندافع عن الحرية، والعدل والقانون ولهذا قام الحزب، ولهذا يجب أن يبقى، دون نظر إلى الأشخاص الذين ينضمون إليه أو الذين يتركونه". [3]

---

[1] : محمد سيد محمد: هيكل والسياسة الأسبوعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٦٦م ص:٢٨.

[2] : محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم ،دمشق، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ص:٤٠.

[3] : عزت السيد أحمد، المدخل إلى عصر النهضة العربي (جامعة تشرين، اللاذقية ٢٠٠٦م) ص:٣٨.

"و كان من الطبيعي أن ينضم محمد حسين هيكل إلى الحزب الأحرار وأن يتولى تحرير جريدته لأن أستاذه لطفي سيد الذي كان يحرر صحيفة (الجريدة) ثم انضم معه في رئاسة التحرير زميله طه حسين عندما رجع من باريس، فنهضا معا بتحريرصحيفة الأحرار الدستورين، غلبت على طه حسين النزعة الأدبية في كتاباته كما غلبت على صاحبنا "محمد حسين هيكل" النزعة السياسية ولكن لم يقصر هيكل نفسه على السياسة فحسب بل بدأ يكتب مع صديقه طه حسين فصولا في الأدب والنقد، وجمع طائفة من هذه الفصول ونشرها باسم (أوقات الفراغ) عام١٩٢٥م". [١]

"لكثرة شغفه بالسياسة ترك محمد حسين هيكل المحاماة وانغمس في غمار الحياة الصحافية والسياسية، وتمتد هذه المرحلة السياسية والصحافية من سنة ١٩٢٢م إلى١٩٣٧م، وفي عام ١٩٣٧م انتقل من السياسة إلى الخدمة الحكومية فاختير وزيرا للدولة ثم وزيرا للمعارف، وما زال يتولى هذه الوزارات من حين إلى حين حتى عين في سنة ١٩٤٥م رئيسا لمجلس الشيوخ، وظل في هذه الرئاسة على سنة ١٩٥٠م".

"قضى اكثر من إثنتي عشرى سنة بين الوزارة والرئاسة ولكنه احتفظ ميوله الأدبية وأخيرا ترك الوزارة والرئاسة وكرس حياته للأدب فعكف على دراسة التاريخ الإسلامي، فأصدر سلسة من الكتب في الموضوعات الإسلامية ومنها:(حياة محمد) وهو من المحاولات الرائدة لعرض السيرة النبوية بأسلوب علمي معاصر، رجع أخيرا إلى كتابة (القصة والرواية) وتابع بعد ذلك كتابة (القصة القصيرة) وبدأ ينشرها في الصحف والمجلات" . [٢]

آثاره العلمية والأدبية:

"كتب محمد حسين هيكل في الفنون النثرية كثيرا وترك لنا المقالات والفصول في السياسة والأدب، و ألف كتب التاريخ والسير والنقد والرحلات والقصص والرويات".

من أهم مؤلفاته:

"زينب" عام ١٩١٤م

"جان جاك روسو" عام ١٩٢١م

"أوقات الفراغ" عام ١٩٢٥م

"عشرة أيام في السودان" عام ١٩٢٧م

"تراجم مصرية وغربية" عام ١٩٢٩م

"ولدي" عام ١٩٣١م

"ثورة في الأدب" عام ١٩٣٣م

---

[١] : أحمد زلط، محمد حسين هيكل بَيْنَ الحضارتين الإسلامية والغربية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م)ص:٣٣.

[٢] : محمد سيد محمد، هيكل والسياسة الأسبوعية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٦م)ص:٤٥.

"حياة محمد" عام ١٩٣٥م

"فى منزل الوحي" عام ١٩٣٧م

"الصديق ابو بكر" عام ١٩٤٣م

"الفاروق عمر" عام ١٩٤٦م

"مذكرات في السياسة المصرية" عام ١٩٥١م

"هكذا خلقت" عام ١٩٥٥م

محمد حسين هيكل ودوره في الرواية العربية:

"الرواية العربية قبل الحرب العالمية الأولى كانت على حالة من التشويش والبعد عن القواعد الفنية، وكانت أقرب ما يكون إلى التعريب والإقتباس حتى ظهور رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل عام ١٩١٤م التي اتفق النقادة على أنها بداية الروايات من حيث الفن والمضمون والتي عالجت الريف المصري". [١]

"وعلى الرغم من أن رواية"زينب" ليست أول رواية في الأدب الروائي العربي عموما والمصري خصوصا، فقد سبقها عدد لا بأس به من الروايات مثل:رواية (علم الدين) لعلي مبارك، و(تخليص الابريز في تلخيص باريز) للطهطاوي، و(حديث عيسى بن هشام) للمويلحي وروايات جورجي زيدان عن تاريخ الإسلام، أو رواية (الدين والعلم والمال) لفرح أنطون وغيرها كثير، نقول على الرغم من ذلك فإن رواية (زينب) تحتل أهمية خاصة بين كل هذه الانتاجات الأدبية". [٢]

يقول"يحي حقيفي" فى هذا الصدد: "إن مكانة رواية (زينب) لا ترجع فحسب إلى أنها أول القصص في أدبنا الحديث، بل إنها لا تزال إلى اليوم أفضل القصص في وصف الريف وصفا مستوعبا شاملا".

أسلوب محمد حسين هيكل:

"من خلال مقالاته العديدة تبدو ملامح أسلوبه السياسي العنيف في الدفاع من الحرية والعدل والقانون، وهو أسلوب مرتب ترتيبًا دقيقًا، نظرًا لدراسته وثقافته القانونية، وأهم ما يميزه السمات التالية:

أولا: كثرة المقدمات بشكل يلفت النظر في المقال الأدبي والسياسي على حد سواء نتيجة لدراسة القانون، وممارسة البحث العلمي.

ثانيا: صب الأفكار في قالب موضوعي، يعتمد على تحليل الجزئيات، حتى ينتهي لنتيجة حتمية دون إحساس بفتور أو ملل.

ثالثا: يخضع للتقسيم والتحليل والتعليل، وتقديم المقدمات، واستخلاص النتائج.

---

[١] : أحمد زلط، محمد حسين هيكل بَيْنَ الحضارتين الإسلامية والغربية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م)ص:٣٥.

[٢] : فتحي رضوان: عصر ورجال – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٧مص:٤٦.

رابعا: يجمع بين موضوعية العلم وذاتية الفن، ولذا يحس القارئ بلذة العقل والذوق معًا.

خامسا: الجنوح إلى التنظيم والتنسيق الفكري، ما يكشف عن شخصيته.

سادسا: شيوع الاستطراد في معظم كتاباته، واتخاذه وسيلة لتوضيح الأفكار والتدليل على صحتها، ما يعرب عن اتساع ثقافته". [١]

و هذا جزء من مقال له بعنوان "بعد قرار العلماء" يخاطب فيه الشيخ علي عبد الرازق، ويسخر من الحملات ضد كتابه (الإسلام وأصول الحكم) يقول:

"تعال نضحك ... فقد كان كتابك مصدرًا لتنفير الأرثوذكسية في الإسلام، ولست أنت الذي غيرها أيها الصديق المسكين، وإنما غيرها الذين طردوك وأخرجوك من الأزهر نعم.كان أهل السنة وما زالوا يرون أن الخلافة ليست ركنًا من أركان الدين، وأن الشيعة فسقوا حين عدوها كذلك، فلما قلت للناس في كتابك ما أجمع عليه أهل السنة غضب عليك أهل الأزهر، ورموك بالابتداع والإلحاد، وأخذوا يقولون: إن الخلافة أصل من أصول الدين، وقد كنا نعلم أن القاهرة مركز أهل السنة وموطن الأشاعرة، ويستقر الأرثوذكسية الإسلام، فسبحان من يغير ولا يتغير".!

"أصبحت (القاهرة) مثل (طهران) مركز الشيعة، وأنها بناء صلاح الدين! ولم لا؟! الشيعة هم الذين بنوا الأزهر وشيدوه، أليس الفاطميون هم الذين بنوا المدينة ومسجدها الجامع؟! فأي عجب أن تعود مدينة القاهرة شيعية كما كانت يوم أسسها الفاطميون؟! وأي عجب في أن يعود الأزهر شيعيا كما كان يوم بناه الفاطميون"؟![٢]

"وبهذا المقال وغيره من المقالات أخذ هيكل يدافع عن حرية الرأي، ويبلور مفهوم حرية الفكر بأسلوب موضوعي، يتسم بجمال التنظيم وروعة التنسيق، ويتخذ من الوسائل ما يكفي لتوضيح أفكاره". [٣]

البيئة المصرية في رواية (زينب):

"قد تمثل الاتجاه المتجه تمامًا إلى القصص الغربي في رواية (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل، الذي بدأ كتابتها وهو في باريس يدرس الاقتصاد السياسي سنة ١٩١٠، وأكملها سنة ١٩١١، ونشرها سنة ١٩١٢، وتعتبر (زينب) أول رواية فنية في تاريخ الأدب المصري الحديث، وذلك لواقعيتها وسيرها على القواعد الفنية للرواية إلى حد كبير". [٤]

"رواية (زينب) تصور واقع الريف المصري في تقاليده القاسية وطبيعته السمحة، فهي تحكي قصة شاب مثقف من أبناء الطبقة المتوسطة إسمه حامد يحب إبنة عم له إسمها عزيزة، وتحاول التقاليد القاسية في الريف دون

---

[١] : محمد لطفي السيد ومحمد لبيب شقير، الدكتور محمد حسين هيكل (مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٨م)ص:٣٩.

[٢] : السياسة الصادرة في ١٤ أغسطس ١٩٢٥،ص:٦٦.

[٣] : أبو ذكري ،السيد مرسي ، المقال وتطوره في الأدب المعاصر ، دار المعارف ، الطبعة: ١٩٨١-١٩٨٢ ، ص:٢٣٩

[٤] : شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف السلسلة:مكتبة الدراسات الأدبية، ٢٠٠٤م،ص: ٢٧٠.

التعبير عن هذا الحب، بل تقسو التقاليد أكثر فتفرض على عزيزة زوجًا آخر يختاره أهلها، ويحرم منها حامدًا نهائيًا، ولكنه يجد بعض العزاء، والتنفيس عند فتاة ريفية من الطبقة الكادحة، اسمها "زينب" تسمح ظروفها كعاملة أن تلتقي بحامد، وتذيقه بعض متع الحب، ولكنها لا تفهم الفتى المثقف ابن الطبقة الوسطى حتى الفهم؛ فتفضل عليه (إبراهيم) رئيس العمال الذي تعمل تحت إشرافه في تنقية الحقل من دودة القطن، ويتم حرمان حامد من زينب، حين يزوجها أهلها، فيغارد القرية نهائيًا، أما (زينب) فنظرًا لكونها لم تستطع الجهر بحب إبراهيم، بسبب قسوة التقاليد، فإن أهلها يزوجونها لرجل آخر لا تحبه، وإن كنت تخلص له وتؤدي حقوق الزوجية بصبر وأمانة، ويبتعد إبراهيم كما ابتعد حامد حيث يجند للخدمة في الجيش، ويسافر إلى السودان، تاركًا منديله لزينب تذكار حب، وتنتهي الرواية بمرض (زينب) من أثر الجوى، وتصاب بالسلّ، ثم تموت".

"كل هذه الأحداث التي تصور قسوة التقاليد، وتفريقها بين حامد وعزيزة، ثم بين حامد وزينب، وأخيرًا بين زينب وإبراهيم، والتي يمكن تلخيصها في عدم الاعتراف بمشروعية الحب، وعدم التسليم بحق الإنسان في اختيار قرينة الذي يهتف به قلبه". [١]

"كل هذه الأحداث تدور على مسرح الريف المصري، الذي صوره المؤلف تصويرًا شاعريًا مثاليًا أخاذًا، وهذا التصوير إذا أخذ مستقلًا كان من أروع ما كتب عن الريف من أدب، ولكنه إذا أخذ كمسرح لتلك الأحداث القاسية الحزينة، كان فيه كثير من التناقض، الذي يشبه تناقض "ديكور" المسرحية الحزينة، حين يجعل بهيجًا مشرقًا".

"ولكن بعض النقاد يرى أن وصف الريف على هذا النحو قد جاء قصدًا، وأنه يمثل عنصرًا قائمًا بذاته في الرواية[٢]، وكأن المؤلف قد قصد به أن يكون تعويضًا من الطبيعة عما أصاب أهل الريف من الحرمان وقسوة الظروف". [٣]

الأساس المعتمد به في رواية (زينب):

"و ليس من شك في أن الدكتور محمد حسين هيكل، قد اعتمد في روايته على محاكاة ما قرأ من أدب فرنسي، وخاصة أدب الرومانسيين، وليس من شك أيضًا في أنه استوحى خياله، وعاطفته المشبوبة بسبب بعده عن مصر وحنينه إلى الوطن وريفه، الذي يمثل أصل بقعة فيه، واعتماد المؤلف على محاكاة ما قرأ في الأدب الفرنسي، يفسر ما يتخلل لوحة روايته أحيانًا من خطوط وألوان غريبة عن البيئة المصرية الريفية، مثل تصوير(زينب)

---

[١] : محمود حامد شوكت ، الفن القصصي في الأدب المصري الحديث ، دار الدعوه للطبع النشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ص: ٢٢٠ ، يحي حقي ، فجر القصة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م ، ص: ٣٨. علي الراعي ، دراسات في الرواية المصرية ،الهيئة المصرية القاهرة، ١٩٨٩م ، ص: ٢٣

[٢] : علي الراعي ، دراسات في الرواية المصرية ،الهيئة المصرية القاهرة، ١٩٨٩م ، ص: ٣٩

[٣] : يحي حقي ، فجر القصة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م ، ص: ٤٧-٤٨.

العاملة بواسة حضانة على حد تعبير "الأستاذ يحي حقي"، كأنها بطلة من أبطال قصة فرنسية، و مثل تصوير(حامد) متقدمًا إلى شيخ صوفي ليحدثه عن خطاياه، كأنه فتى مسيحي يتقدم للاعتراف أمام قسيس، ومثل رسم هذه الصورة الدرامية لنهاية زينب، حين تلفظ أنفاسها والدم ينزف من فمها، فتمسحه بمنديل حامد، وكأنها غادة الكاميليا". [١]

"أما عاطفة المؤلف المشبوبة وحنينه الملتهب إلى مصر، فيفسر إفراطه في وصف الريف وإسهابه في تصوير محاسنه، لأنه كان يراه من خلال خياله، ويجمله بما تخلعه عليه عواطفه، شأنه في ذلك شأن أي شاب وطني يغترب عن بلده الحبيب". [٢]

"و هذان العيبان، عيب الخطوط والألوان الأجنبية، وعيب الإفراط في وصف الريف وتصوير محاسنه، بطريقة لاتخدم أحداث الرواية، وبيئة أبطالها،تضاف إليهما بعض العيوب الأخرى، مثل: عدم الدقة في رسم الشخصيات، وعدم إنطاقها بما يلائم مستواها، وإنما بما يلائم المؤلف نفسه، ثم عدم التسويغ المقنع لبعض الأحداث والتصرفات[٣]، إلى غير ذلك من المآخذ التي لا تجعل من (زينب) رواية فنية كاملة النضج، وإن كانت بداية طيبة، ومبكرة للرواية الفنية في الأدب المصري الحديث".

"بقي جانب يتصل بلغة هذه الرواية، وهو استخدام المؤلف فيها للعامية في الحوار كثيرًا ثم في السرد قليلًا، أما الحوار فيمكن تسويغ استخدام العامية فيه، بدافع فني هو الرغبة في تحقيق الواقعية، وإنطاق الأشخاص بلغة تلائمهم، وتحدد أبعادهم، خصوصًا وأكثرهم من الفلاحين، أما السرد فلا يبرر استخدام المؤلف للعامية فيه دفاع فني مقنع، وأغلب الظن أن الدافع الحقيقي كان عجز المؤلف في تلك المرحلة المبكرة من حياته الأدبية عن العثور على جميع الألفاظ والتراكيب الفصحى، التي تؤدي دلالات شعبية ريفية يريد أن يعبر عنها، وربما يؤكد هذا ما تورط فيه المؤلف من أخطاء نحوية تناثرت في الرواية".

الفكرة في تسمية الرواية(زينب):

"الدكتور محمد حسين هيكل يقف في طليعة من كتبوا الرواية الفنية، ويعتبر رائدها الأول في الأدب الحديث، ومن الطريف أنه حين نشرها أول مرة سنة ١٩١٢ استحى أن يضع عليها إسمه، بل استحى أن يسميها رواية أو قصة، وإنما كتب عليها "مناظرة وأخلاق ريفية، بقلم (فلاح مصري)، وقد فسر ذلك بعد هذا، فبين أنه خاف على سمعته كمحام من أن يعاب عليه كتابة الروايات، لأن الناس في تلك الأحايين لم يكونوا ينظرون إلى الروائيين بعين الاحترام". [٤]

---

[١] : هيكل، محمد حسين ، زينب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م ص: ١٨.

[٢] : فجر القصة، ص: ٥٠

[٣] : زينب، ص: ١١ وفجر القصة، ص: ٤٨

[٤] : تطور الرواية العربية، ص: ٣٢٣-٣٣١. ودراسات في الرواية المصرية، ص: ٣٩-٤٥. وفجر القصة ، ص: ٤٩-٥٢.

"و ربما كان من الأسباب ما ذكره الأستاذ يحيى حقي، من اشتمال الرواية على أحداث حب، لم تكن البيئة الاجتماعية تحترم أصحابه في تلك الآونة". [١]

"ولعل السبب الحقيقي، ليس خجل المؤلف من أن يعرف بكتابة الرواية، لأن غيره ممن كانوا أكثر تزمتًا قد عالجوا هذا الفن، وإن كان علاجهم لها بطريقة مخالفة، مثل الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي، ولعل السبب أيضًا ليس اشتمال الرواية على أحداث حب، فإن روايات المنفلوطي(الشيخ الوقور) قد اشتملت على تلك الأحداث، مما يدل على أن البيئة لم تكن تزدري الرواية الجيدة أولًا، ولا تأنف من اشتمالها على أحداث حب ثانيًا".

"والمعقول أن يكون سبب خجل المؤلف من تسميتها رواية، وإخفاء نفسه تحت لقب فلاح مصري، وهو إحساسه بأنه هو البطل حامد، وبأن أهم الأحداث التي في روايته واقعية، تجعلها أشبه بترجمة ذاتية، ولذا استحى المؤلف أن يقول للناس، وهو محام ناشئ: إنه كان يحب العاملة الريفية زينب، ويمارس معها بعض مظاهر الحب الجسدية، وما إلى ذلك من أحداث، لا يليق بالمؤلف أن تنسب إليه، وهو رجل يعد نفسه للمناصب الكبرى، وينتمي إلى حزب سياسي له خصوم يتلمسون زلات رجاله". [٢]

"وهذا جزء من رواية (زينب)، نعيش فيه قليلًا مع أول رواية فنية مصرية، ونتبين معه أهم خصائصها، يقول هيكل في مباديها:"في هاته الساعة من النهار، حين تبدأ الموجودات ترجع لصوابها، ويقطع الصمت المطلق الذي يحكم على الفلاحين طول الليل، أذان المؤذن، وصوت الديكة ويقظة الحيوانات جميعًا من راحتها، وحين تتلاشى الظلمة ويظهر الصباح رويدًا رويدًا من وراء الحجب في هاته الساعة، كانت زينب تتمطى في مرقدها، وترسل في الجو الساكن الهادئ تنهدات القائم من نومه، وعن جانبها أختها وأخوها ما يزالان نائمين، فانسحبت هي من بينهما، وبعيون ما يزال فيها أثر النوم، نظرت لكل ما حولها، ولم يدعم نسيم الصباح تترك مكانها، بل استندت إلى الوسادة، وجاهدت أن تنظر لعلها تر ى ما في صحن الدار، فلم تجد شيئًا، وأدارت رأسها، فإذا باب الغرفة موصد، ولا صوت حولها، إلا ما يتنادى به رسل الصلاح من أطراف القرية".

"بقيت في مكانها هنيهة ساكنة لا تبدي حراكًا، ثم فردت ذراعيها من جديد، وأرسلت في الهواء تنهداتها، وتركت نفسها تذهب في أحلام يحييها النسيم، حتى أحست بالباب تفتحه أمها راجعة من أدوار (الملية)، وهنالك التفتت إلى أختها تهزها لتستيقظ، لكن الصغيرة كانت في نوم عميق فلم تنتبه، وتقلبت كأن بها ضيقًا ممن يقلقها في مضجعها،وأخيرًا نادتها أمها"

"يا زينب..

"نعم"..

---

[١] : زينب ، ص: ٧، وفجر القصة، ص: ٤٣.

[٢] : فجر القصة، ص: ٤٣-٤٤.

"ولم تزد على هذا الجواب كلمة، وبعد أن استيقظت أختها، التفت إلى أخيها وأيقظته وحدقت نحو الشرق، فإذا الأفق متورد، والشمس في لونها القاني، والسماء قد خلعت قميص الليل، هنالك قامت فأوقدت نارًا، و"لدنت" فوقها رغيفًا لكل منهما، ولم تنس أمها وأباها".

"دخل أبوها راجعًا من الجامع، وقد قرأ الورد وصلى الفجر، وما كان يتخطى عتبة الدار، حتى نادى (يا محمد)، وسأله إن كان قد استيقظ بعد، وإن كان قد أعد عمله".

"وجلست العائلة جميعًا حول (المشنة)، وأكل كل منهم رغيفه (بحصوة) ملح، ثم قال الرجل وابنه إلى عملهما، أما زينب، فانتظرت مع أختها أن يمر بهما إبراهيم ليذهبوا جميعًا إلى مزرعة السيد محمود لتنقية القطن، وقد كان في أملهم جميعًا أن ينتهوا اليوم من بر الترعة الغربي، أو كما يسميه كاتب المالك (نمرة٢٠)، لينتقلوا في الغد إلى (نمرة)١٤". [1]

"نزلتا حين رأتا إبراهيم ومن معه مقبلين، وتهادى الكل (صباح الخير)، ثم خرجوا من الحارة إلى سكة البلد، ثم منها إلى سكة الوسط، وهكذا كانوا عند (نمرة ٢٠) ساعة مرور وابور الصباح، ولم يتمهلوا أن أخذ كل منهم خطه على وجه الترتيب الذي كانوا عليه أمس.. ارتفعت الشمس حين نقوا خطين، وأرسلت بشعاعها تغمر هامة الشجرات التي ما تزال في مبتدأ حياتها، ومع ذلك يعني بها الفلاح والمالك أكثر من عنايتهما بأبنائهما، واصطفوا للوجه الثالث، بعد أن فصلهم عن الأولين مصرف، فلم ينس إبراهيم أن ينبههم إلى أن هذه الجهة (أغلت) من سابقتها، وتستحق لذلك عناية أكبر، وأنذرهم أنه سيدقق في مراقبتهم، ومن وجد وراءه شيئًا أو راه شغله". [2]

تصوير الريف في رواية زينب:

"إن الحديث عن الريف هو حديث متصل بالحياة المصرية التي شهدت تغيرات وتحولات جذرية عبر محطات تاريخية طويلة، اكتسبت العناية بالريف والحياة الريفية مكانة هامة في المنجز الروائ المصري منذ فترة الاحتلال، حيث حفزت حيوية موضوع الفلاح وقضية المراة للأدباء إلى تقديم عطاء يستوعب الحياة الريفية بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والإنسانية".

"هذه الرواية (زينب) عادات الريف المصري وبساطة أهله ومحاسن حياتهم ومساويها وما عليها من اعتقادات.نقلها المؤلف بعيون دقيقة ونراه أن له موقفا لينقد نقائصها ومفاسدها وما على نظام اجتماعي في الريف المصري وخاصة ذكر مسألة الزواج وقضية المرأة المصرية ليس لها حق في اختيار قرينها وشريك حياتها، أظهر لنا محمد حسين هيكل صعوبة عيش أهل الريف إبان الإستعمار والجهل والظلم اللذان عايشتهما زينب بتزويجها دون رضاها".

---

[1] : هيكل، أحمد عبد المقصود ، تطور الأدب الحديث في مصر ، دار المعارف ، الطبعة: السادسة ١٩٩٤م ، ص:٢٠٤

[2] : زينب، ص:١٣

"الكاتب هو الراوي في هذه الرواية فهو يحكي قصة (زينب) ولا يتكلم بلسانها، تظل زينب الرواية الرائدة تصور الشخصية البسيطة وصراع الحب داخل المجتمع الذي يعاني من سوء الأوضاع الاجتماعية، عمد فيها هيكل إلى وصف حياة الريف والفلاحين بصورة لم يسبقه فيها أحد من المصريين، لم يفسح هيكل لنفسه في تصوير الشخصيات الجانبية وطبعها، ولم تتسع خبرته بالحياة وتجاربها العميقة وإنما عوضه بأصوفه الغنية للطيعة الريفية في مصر".

خلاصة البحث:

"رأى هيكل أن الأدب رسالة، لها قيمة وتأثير على أذهان الناس، فدعا إلى الأدب الذي يقتحم الحياة حرا طليقا، لأن الأدب عند هو الأدب الذي له صلة وثيقة بالحياة والإنسان".

"يبعث الأدب في حياة الإنسان نورا كما يجب على الأدب أن يقوم على أساسه حضارة سليمة يقود الإنسان والإنسانية إلى المجد والسعادة، قد أفرغ هيكل وصف المجتمع المصري في قالب جميل ليستهوى النفس ويصقل العقل".

"تناول هيكل في روايته زينب مسائل المجتمع المصري وقضايا الفلاحين والعمال الكادحين ومشاكل الطبقة العامية والوسطى كما أشار إلى بعض أمراض المجتمع والفساد الخلقي والاعتقادات القديمة وعلاقات الرجل بالمرأة غير الشرعية، ثم عالج المشكلة التي يعانيها الفلاح المصري من الآلام والمصائب الاجتماعية".

"فالرواية من هذا اللون من القصص الاجتماعي هي التي تحدث فيها هيكل عن تجارب شخصية واصطبغ أحيانا بصبغة عاطفية، تعالج رواية (زينب) قضية العلاقة بين اللرجل والمرأة".

دعا الكاتب من خلال وصية زينب إلى ترك الحرية للشباب.

"العلاقة بين المرأة والرجل بهذه الكيفية يعد جرأة كبيرة من الكاتب.إن معالجة هذا الموضوع الاجتماعي العاطفي كان ضمن الريف بمناظره الطبيعية والاجتماعية المختلفة".

"يصف الكاتب حياة الفلاحيين ويصور أفراحهم وأحزانهم كما يصف الطبيعة الجميلة في الليل والنهار ويصور البيوت والمساجد والحقول ولكن في وصف الريف لاينسجم في معظم الأحيان بين الحديث والطبيعة" .